شرح كتاب

العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام الإمام المجدد

أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية

-رحمه الله تعالى-

شرحها فضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

[الدرس الأول]

أعدّ هذه المادة

سالم بن محمد الجزائري

(أصل التفريغ لمجموعة من الإخوة)

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تَعَالىٰ:

[المتن]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمْدُ للهِ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا.

وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا مَزِيدًا.

أَمَّا بَعْدُ،

فَهٰذا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

وَهُوَ الإِيمانُ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، والإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

[الشرح]

بسم الله الرحمـــٰن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـــٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبد الله ورسوله وصفيه خليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيـــراً إلى يوم الدين.

أما بعد،

فأسأل الله جل وعلا لي ولكم العلم النافع والعمل الصالح، وأن ينوِّر بصائرنا بالعلم والهدى، وأن يقيم أعمالنا بدين الحق الذي أرسل به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هٰذا وإنّ هٰذا الدرس الذي أسأل الله جل وعلا أن يتممه، ألا وهو **شرح هٰذه العقيدة الواسطية** التي ألَّفها شيخ الإسلام والمسلمين عَلَمُ الدين وتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحرّاني ثم الدمشقي، الإمام المعروف المتوفى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة (٧٢٨هـــ) رحمه الله تعالى وأجزل له المثوبة.

كَتَب هٰذه العقيدة إلى أهل واسط يبين لهم فيها اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة؛ أهل السنة والجماعة مِن سلف هٰذه الأمة ومَن تبعهم على هٰذا الاعتقاد إلى وقته رحمه الله تعالى.

وهٰذه الرسالة على وَجازتها واختصارها قد اعتنى بها العلماء بعد شيخ الإسلام رحمه الله؛ لأنها قد شَمَلت من أصول عقائد أهل السّنة والجماعة على الخلاصة الوافية، فقد ذكر فيها رحمه الله كل أصول الاعتقاد:

ذكر فيها شرح أركان الإيمان الستة.

وذكر فيها ما يجب لله جل وعلا من صفات الكمال، وما يوصف الله جل وعلا به، والأصل في ذلك، ومخالفة المبتدعين والضالين في باب الأسماء والصفات.

وذكر ما يتصل بذلك من الإيمان بالأمور الغيبية والإيمان بالكتب والرسل وبالقدر خيره وشره.

وبيّن أن من أصول أهل السنة والجماعة الأحكام المتعلقة بالإمامة العظمى، وكذلك بما يجب لوُلاَة الأمر من حق السمع والطاعة مخالفةً للخوارج وأشباههم ممن خالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك.

وذكر اعتقاد السلف الصالح في صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنّ ذلك من الواجبات الشرعية الاعتقادية؛ لأنّ فيه مخالفةً لأهل البدع من الرّوافض ومن شابـــههم الذين لا يتولّون جميع أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وذكر أحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وذكر أحكام أو أصول الأخلاق عند أهل السنة والجماعة.

وبهٰذا الذي ذكره في هٰذه الرسالة العظيمة المختصرة يتبيّن أنّ اعتقاد أهل السنة والجماعة يشمل ثلاثة أصول:

الأول: العقيدة العامة في الله جل وعلا وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

الثاني: مسائل الإمامة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هٰذا هو الثاني؛ الإمامة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والكلام في ما يتصل بذلك من الكلام في الصحابة رضوان الله عليهم.

الثالث؛ الأصل الثالث من أصول الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة: الكلام في أخلاق أهل السنة والجماعة.

وهٰذه هي الأمور الثلاثة التي أَصَّلَ فيها شيخ الإسلام رحمه الله في هٰذه الرسالة العظيمة.

وهٰذه الرسالة هي وجيزةٌ ألفاظُها، لكن هي مدرسةٌ للعلم باعتقاد أهل السنة والجماعة وبمنهج أهل السنة والجماعة، وذلك الاعتقاد تفصيلُه في كتب شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، فكُتُب شيخ الإسلام رحمه الله تعدُّ شرحاً لهٰذه العقيدة الواسطية، فأحسن شرح لهٰذه العقيدة ما نثره شيخ الإسلام رحمه الله في كتبه وفصَّله وبيَّنه من أصول هٰذا الاعتقاد، وكذلك تلميذه العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى؛ إذْ لا أحسن في فهم كلام شيخ الإسلام من شرحه هو نفسه في مصنفاته الأخرى وكذلك في فهم تلميذه ابن القيم رحمه الله جل وعلا.

هٰذه الرّسالة لها شروح كثيرةٌ كما هو معلوم، هٰذه العقيدة المباركة لها شروحٌ كثيرة، ومن أعظمها نفعاً وأدقها لفظاً: الشرح المسمى بـــ ''**التنبيهات السَّنية على العقيدة الواسطية**'' للشيخ العلامة عبد العزيز بن

رشيد رحمه الله تعالى، فإن هٰذا الشرح من أنفس شروح هٰذه العقيدة الواسطية، فقد بين من مسائل هٰذه العقيدة ومن ألفاظها ما يكفي طالب العلم في هٰذا الباب أعني باب الاعتقاد؛ لأنه ذكر فيها من العلم الواسع الغزير ما لو اكتفى به طالب علم في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة لكفاه.

ولهٰذا أحضّ – من أراد شرحاً لهٰذه العقيدة – على هٰذا الكتاب، ألا وهو "**التنبيهات السّنية على العقيدة الواسطية**" للشيخ ابن رشيد رحمه الله تعالى.

من المقدِّمات المهمّة قبل الشروع في شرحٍ لهٰذه العقيدة أنْ نبين أنّ هٰذه العقيدة المباركة وكذلك سائر كتب شيخ الإسلام ابن تيمية بيَّن فيها عقيدة السلف وفصَّل فيها ما ذكره السّلف في كتبهم من الاعتقاد، وكُتُب شيخ الإسلام تتميّز على كتب السلف -يعني من كُتُب أصحاب الإمام أحمد ومن تبعهم ومن تلاهم زمناً- تتميز هٰذه العقيدة وسائر كتب شيخ الإسلام ابن تيمية عن تلكم الكتب الكثيرة في الاعتقاد بمزايا منها:

١ــ أنّ شيخ الإسلام رحمه الله قد فهم ما قاله الأئمة من قبل، فصاغه بصياغةٍ تجمع أقوالهم بأدلتها وببيان معانيها، فهو خير مَن فَهِمَ كلام الأئمة من قبل.

٢ــ ومن مزاياه -أعني مزايا كلام شيخ الإسلام في الاعتقاد- أنه رحمه الله تعالى قد بلغ في فَهْم نصوص الكتاب والسنة المبلغ والدرجة التي شهد له بها أهل عصره ومن تلاهم، ومن المعلوم أن أدلة الاعتقاد هي نصوص الكتاب والسنة، ثم هو مع هٰذا اطلع على كلام الصحابة وكلام التابعين ومن تبعهم في تفسير معاني نصوص الكتاب والسنة، ولهٰذا كلام شيخ الإسلام في بيان معاني الكتاب والسنة يُعدُّ أحسن كلامٍ للعلماء المتأخرين يعني بعد الأئمة المشهورين.

٣ــ ومن مزايا كلام شيخ الإسلام -وهٰذه العقيدة أيضاً- أنّ شيخ الإسلام استحضر حين كتابتها أقوال أهل البدع والمخالفين وحججهم، فهو يذكر ما يذكر من الاحتجاجات مستحضراً تلك الأقوال وتلك الاعتراضات من أهل البدع أو تلكم الأقوال المنحرفة من أهل البدع على اختلاف أنواعهم، ومعلومٌ أنّ حال الكاتب أو المؤلف الذي يؤلف وهو على هٰذه الدرجة العظيمة من الاستحضار أنّ كلامه يكون مُنْبئاً عن ما يكون فصلاً في هٰذه المسائل.

٤ــ ومن مميزات هٰذه العقيدة وكذلك سائر كُتب شيخ الإسلام رحمه الله أنّ شيخ الإسلام أوضح فيها كثيراً من المجملات التي ربما كانت في كلام السلف، فقد تجد في كلام المتقدمين من أهل القرون المفضلة كلاماً في الاعتقاد ربما أُجْمِلَ في مواضع وَفُصِّلَ في مواضع، وشيخ الإسلام يستحضر هٰذا وذاك ويذكر الكلام المجمل والمفصَّل كُلٌّ في مكانه ويوضح ذلك بحيث:

♦ إنّ من فهم كلام شيخ الإسلام وفَهِم كتب شيخ الإسلام رحمه الله ثم بعد فهمه لذلك وبراعته فيه رجع إلى كتب السلف فإنه يفهمها فهماً مُصيباً، فهْما على ما ينبغي.

♦ وأما من ترك التفقّه في كتب شيخ الإسلام رحمه الله فربما زلَّ في فهمه لبعض كلام السلف وكلام الأئمة؛ لأن بعضهم ربما وقع في كلامه إجمال أو ربما وقع في كلامه رعاية لحال السّائل أو نحو ذلك من الأسباب التي لا يمكن المجيب معها أن يفصِّل التفصيل المطلوب.

لهٰذا نقول: إن العناية بهٰذه العقيدة مما حثّ عليه العلماء قديماً وحديثاً، فلا غرو أن أوصي إخواني – وفقهم الله تعالى للخير– بهٰذه العقيدة وبفهم ألفاظها ومعاني الألفاظ ومعاني ما فيها من الأدلة والاستدلال والحجج؛ لأنّ فيها خيراً عظيماً.

قال رحمه الله تعالى في فاتحة هٰذه العقيدة المباركة: (**الحَمْدُ للهِ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا**) ابتدأ رحمه الله هٰذا الكتاب وهٰذه الرسالة بالثناء على الله، بأنه هو المستحق لجميع أنواع المحامد؛ لأن كلمة (**الحَمْدُ**) –كما سبق أن أوضحت في غير هٰذا الدرس– هي مكونةٌ من الألف واللام التي تدل على استغراق الجنس أو الأجناس. وكلمة (**حمد**)، ويكون معنى (**الحَمْدُ**) معناه جميع أجناس المحامد هي لله جل وعلا استحقاقاً، فقوله هنا: (**الحَمْدُ للهِ**) أفادنا أنّ كل أنواع المحامد لله جل وعلا.

وقد ذكرتُ لك فيما مضى: أنّ أنواع المحامد لله جل وعلا كثيرة تجتمع في خمسةٍ وهي:

١ــ حمده جل وعلا على تفرده بالربوبية دون مشاركٍ له فيها وآثار الربوبية في خلقه أجمعين.

٢ــ حمده جل وعلا على كونه ذا الألوهية على خلقه أجمعين، وأنه المستحق للعبادة وحده دون ما سواه.

٣ــ حمده جل وعلا على ما له من الأسماء الحسنى والصفات العلا.

٤ــ حمده جل وعلا على شرعه وأمره ودينه.

٥ــ حمده جل وعلا على قضائه وقدره وما أجرى في كونه.

وهٰذه هي أنواع المحامد، أو جماع أنواع المحامد. وقد مرت بك مفصلةً في أول شرح زاد المستقنِع في الأسبوع الماضي.

وقوله هنا: (لله) اللام هنا للاستحقاق، فإذا كان ما قبل اللام من المعاني لا من الأعيان فإنها تفيد الاستحقاق، وقد يكون مع الاستحقاق المِلْكُ، والله جل وعلا له جميع أنواع المحامد استحقاقاً؛ يستحقّها، وهو جل وعلا مالكٌ لها، فله جميع المحامد ملكاً واستحقاقاً؛ مُلكاً له واستحقاقاً له جل وعلا.

وقوله هنا: (**الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ**) هٰذا اقتباس من آية في آخر سورة الفتح، وهي قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ**

شَهِيدًا﴾[الفتح:٢٨]. والهدى هو العلم النافع مما جاء في الكتاب والسنة، الله جل وعلا (أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى) وهو العلم النافع سواءٌ في ذلك ما كان من باب الأخبار وهي أبواب الاعتقاد أو من باب الأمر والنهي، وهٰذا كله العلم النافع الذي يورث الهدى، وهو هدىً في نفسه يعني مرشداً ودالاً على الطريق التي هي أقوم، وكذلك يورث الهدى الكامل في الدنيا وفي الآخرة.

وأما (دين الْحَقِّ) فقد فسرها السلف بأنه العمل الصالح، الأعمال النافعة، الأعمال الصالحة للمؤمن في نفسه وللناس في أنفسهم، وكما يقال: للمجتمعات وللأمم بأجمعها.

الله جل وعلا (أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى) بالعلم النافع، وبـ(دِينِ الْحَقِّ) الذي هو العمل الصالح، (وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا) كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا على ما ذَكَر، فالله جل وعلا هو الذي شهد بأن ما بعث به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الهدى وهو دين الحق، وشهادة الله جل وعلا فوق كل شهادة؛ إذْ لا أعلم من الله، ولا شاهد يُكتفى به إلا الله جل وعلا في هٰذه المسائل العظيمة أو ما أوحى به إلى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن أتته شهادة الله جل وعلا كفى بها شهادة.

إذا كذلك فمن المتقرر أنّ نصوص الكتاب والسنة التي وُصفت في هٰذه الآية بأنها الهدى قد اشتملت على أنواع الأخبار التي هي في الأمور الغيبية عن الله جل وعلا وعن أسمائه وصفاته وعن ما يكون في يوم المعاد من الأمور الغيبية.

وإذا كانت هٰذه النصوص في هٰذه الأمور الخبرية، وكذلك ما أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هٰذه الأمور قد وصفها الذي يُكتفى بشهادته بأنها هدى، فيُعلم منه أن من لم يرضَ بكون هٰذه النصوص وما دلت عليه الهدى الكامل والشفاء الكامل فإنه يتضمن ذلك أنه لم يكتفِ بشهادة الله جل وعلا، وهٰذا هو ما صنعه الذين سلكوا مسلك البدع من أنواع الفِرق كالخوارج والمرجئة والقدرية والمعتزلة والجهمية والأشاعرة والماتريدية، فإن كل فرقةٍ من هٰذه الفرق لم ترتضِ نصوص الكتاب والسنة و لم تجعلها كافية؛ بل أعملت في ذلك إما بعقولها أو بأقيسةٍ ضالة.

فمن أخذ بما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وهي القاعدة العظيمة في الاعتقاد، لأننا لا نتجاوز في الاعتقاد القرآن والحديث، كما قال الإمام أحمد بهٰذا الأصل، قال: **نُمِرُّها كما جاءت** – أي بنصوص الصفات – **لا نتجاوز القرآن والحديث**. يعني لا نتأول كما تأول المتأولة، ولا نعطل كما عطل المعطلة، ولا نشبه أو نمثل كما مَثَّلَ المجسمة أو مَثَّلَ الممثلة، وإنما لا نتجاوز القرآن والحديث؛ وذلك لأنّ أهل السنة قد اكتفوا بشهادة الله جل وعلا في هٰذه الآية؛ بأنّ ما أرسل به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الهدى وهو دين الحق، فقبلوه و لم يتجاوزوا القرآن والحديث.

قال بعد ذلك: (وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا) وهٰذه تحتاج إلى شيءٍ من التفصيل، وذلك أنّ قوله هنا: (وَأَشْهَدُ) هٰذه الشهادة معناها الاعتراف والإقرار الذي يتبعه إعلامٌ وإخبار؛ لأنّ الشهادة تشمل اعتقاد القلب وإخبار اللسان.

فمن اعتقد بقلبه دون أن يتكلم بلسانه لم يُعدّ شاهداً.

ومن تكلم بلسانه –كحال المنافقين– و لم يعتقد بقلبه لم يكن شاهداً بما دلّت عليه كلمة التوحيد.

إذن الشهادة في قوله (وَأَشْهَدُ) يعني اعتقد وأعترف وأُقرّ لله بأنه هو المستحق للعبادة وحده دون ما سواه، وأُخبر وأعلن بذلك: بأنّ الله جل وعلا هو المستحق للعبادة دون ما سواه.

وهٰذا هو الذي فُسِّر به قوله تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾[آل عمران:١٨]، ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ يعني أعلم وأخبر. ﴿وَالْمَلائِكَةُ﴾ شهدوا بذلك، أعلموا وأخبروا بذلك واعتقدوا ذلك. ﴿وَأُوْلُوا الْعِلْمِ﴾ من خلقه شهدوا ذلك بمرتبتين:

١ــ مرتبة الاعتقاد.

٢ــ ومرتبة القول.

قال: (وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ) و(أَنْ) هاهنا هي التفسيرية. وضابطها: أنها هي التي تأتي بعد كلمةٍ فيها معنى القول دون حروف القول، كـــ (أشهد) و(نادى) و(أوحى) و(قضى) و(أمر) و(وصى) ونحو ذلك.

فـــ (أَنْ) إذا أتت بعد هٰذه الألفاظ أو نحوها مما فيه معنى القول دون حروف القول هي: التفسيرية؛ لأن ما بعدها يفسر ما قبلها كالتي جاءت في قول الله جل وعلا: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾[الأعراف:٤٤] الآية.

(لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ)، (وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ) وهٰذه الكلمة هي كلمة التوحيد.

ولها ركنان:

١ــ النفي.

٢ــ والإثبات.

النفي المستفاد من قوله: (لاَ إِلَهَ)، والإثبات المستفاد من قوله: (إِلاَّ اللهُ).

النفي نفي استحقاق العبادة عن كل أحد، وإثبات استحقاق العبادة لله جل وعلا.

فركنا هٰذه الكلمة: النفي والإثبات، فمن نفى و لم يثبت لم يكن قد أتى بهٰذه الشهادة بهٰذه الكلمة على صحتها، إذْ أتى بركنٍ و لم يأتِ بالثاني، وكذلك من أثبت و لم ينفِ، فإنه لم يأتِ بما دلت عليه هٰذه الشهادة، فلابد أن يجتمع في حق الشاهد: أنه ينفي استحقاق العبادة عن أحدٍ، ويثبت استحقاق العبادة لله جل وعلا وحده دون ما سواه.

والمشركون كانوا يثبتون ولا ينفون، يقولون: إن الله جل جلاله مستحقٌ للعبادة. فهو مستحقٌ لأن يُعبد، لكنهم لا ينفون، ولهٰذا لما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قال لأبي طالب: ((قل كلمة أحاج لك بها عند الله)) فأبى أن يقول.[1] وقال للمشركين ذلك، فقالوا: نقول عشر كلمات، فلما قال لهم: ((قولوا: لا إله إلا الله)) أَبَوْا ذلك؛ لأنهم يعلمون أنه لا يصلح الإقرار بهٰذه الكلمة إلا بالنفي والإثبات، وهم إنما يثبتون لله جل وعلا أنه معبود وأنه يُعبد، لكن ينفون كونه جل وعلا أحداً في استحقاقه العبادة، قال سبحانه: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾[الصافات:٣٥-٣٦]، وقال جل وعلا في سورة ص مخبراً عن قولهم: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾[ص:٥].

وهٰذا هو الذي صنعه المشركون فيما بعدهم من مشركي هٰذه الأمة، فإنهم أتوا بركنٍ من ركني كلمة التوحيد ألا وهو الإثبات، قالوا: إن الله جل جلاله مستحقٌ للعبادة. لكن قالوا: يمكن أن يكون معه من يستحق شيئاً من أنواع العبادة، لكن لا على وجه الأصالة ولكن على وجه الواسطة! وهٰذا من الأمور المهمة التي ينبغي العناية بها، وهي: أن كلمة التوحيد لها ركنان:

١ــ ركن النفي.

٢ــ وركن الإثبات.

أمّا معناها: فإن معنى (الإله) في قوله: (لاَ إِلَهَ) هو المعبود عن محبة وتعظيمٍ؛ لأن مادة (أَلَهَ) في اللغة التي جاءت والتي جاء بها القرآن معناها العبادة. (أله) معناها: عَبَدَ مع المحبة والتعظيم.

و (الألوهة) العبادة مع المحبة والتعظيم. فـــ (الإله) هو: المعبود مع المحبة والتعظيم.

ويدل له من قول العرب قول الشاعر في رجزه المشهور:

لله دَرُّ الغانيات المُدَّه سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ من تَأَلُّهِي

يعني من عبادتي.

وعليه قراءة ابن عباس في آية الأعراف في قوله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَإِلَهَتَكَ﴾[الأعراف:١٢٧] يعني: وعبادتك.

فإذن معنى (الإلهة) و (الألوهة) في كلام العرب يعني العبادة مع المحبة والتعظيم.

([1]) **البخاري**: كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، حديث رقم (٣٨٨٤).

مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع وهو الغرغرة، حديث رقم (٢٤).

وهٰذا ينبئ ويثبت أن قول الأشاعرة والماتريدية والمتكلمين في معنى (الإله) أنه قولٌ باطل، حيث إنهم قالوا: إن معنى (الإله) هو القادر على الاختراع. (الإله) عند المتكلمين ومن حذا حذوهم ونحا نحوهم كالأشاعرة والماتريدية ونحوهم يقولون: (الإله) هو القادر على الاختراع.

وهٰذا معنى (الرب) أما (الإله) فليس فيه معنى الخلق ولا القدرة على الخلق ولا القدرة على الاختراع، وإنما فيه معنى العبادة.

ويقول آخرون من الأشاعرة والماتريدية ونحوهم: إن (الإله) هو المستغني عما سواه المفتقر إليه ما عداه. كما قالها السنوسي في عقيدته المشهورة التي يسميها أصحابها ''أم البراهين'' يقول فيها ما نصّه يقول: فالإله هو المستغني عما سواه المفتقر إليه كل ما عداه، فمعنى: لا إلـٰه إلا الله – هٰذا من تتمة كلامه – لا مستغنياً عما سواه ولا مفتقراً إليه كل ما عداه إلا الله.

ففسر الألوهية بالربوبية، وهٰذا من مناهج المتكلمين ومن عقيدة أهل الكلام؛ إذْ أنهم يفسرون الإله بـــالرب.يفسرون الألوهية بالربوبية.

وعلى هٰذا – عندهم – من اتخذ مع الله جل وعلا إلهاً آخر يعبده، يرجوه، يخافه، يدعوه، يستغيث به، ينذر له، يذبح له، فإنه لا يكفر بذلك عندهم؛ لأنه لم يخالف ما دلت عليه كلمة التوحيد إذا كان معتقداً – عندهم– بأن الله جل وعلا هو المتفرد وحده بالقدرة على الاختراع وبالاستغناء عما سواه وبافتقار كل شيء إليه جل وعلا.

فإذن معنى (لاَ إِلَهَ) ليس معناها الربوبية، وإنما معناها لا معبود، وخبر (لاَ) النافية للجنس محذوف.

والعرب تحذف خبر (لاَ) النافية للجنس إذا كان المراد معْ حذفه ظاهراً واضحاً لا إشكال فيه.

وعلى ما قال ابن مالك رحمه الله في الألفية: **وَشَاعَ فِي ذَا الْبَاب**، يعني باب (لاَ) النافية للجنس

وَشَاعَ في ذَا الْبَـــاب إسْـــقَاطُ الخَبَـــر إذَا الْمُرَادُ مَـــعْ سُـــقُوطه ظَهَـــــر

وهنا في قوله (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ) ما خبر (لاَ)؟ لم يُذكر لأنه معروف، لأن المعركة بين الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن بُعِثَ إليهم كانت معروفة أنها لم تكن في نفي آلهة موجودة، وإنما كانت في نفي استحقاق شيء من هٰذه الآلهة لشيء من العبادة.

ولهٰذا قَدَّرَ أهل العلم الخبر المحذوف بأنه كلمة (حق)، (لاَ إِلَهَ حقٌ إِلاَّ الله) أو (لا معبود بحقٍّ إلا الله)، ومعنى ذلك أن كل معبودٍ سوى الله جل وعلا فإنه معبودٌ بغير الحقِّ، معبود بالباطل، بالبغي، بالظلم، بالعدوان ليس بحق، وإنما المعبود بحق هو الله جل وعلا.

ثم قال: (إِلاَّ اللهُ) و(إِلاَّ) هٰذه إما أن تكون أداة حصر، وإما أن تكون أداة استثناء ملغاة.

ولفظ الجلالة بعدها بدل من (لاَ) مع اسمها لأنه في محل رفع بالابتداء.

تحقيق (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ) بألا يُعبد إلا الله، فمن قال: (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ) وشهد بها يحققها إذا لم يعبد إلا الله جل وعلا، لم يتوجه بشيءٍ من أنواع العبادة إلا إلى الله جل وعلا.

لهذا نقول: تحقيق الشهادتين يكون بتحقيق (لا إلـــه إلا الله محمد رسول الله).

وتحقيق الأولى: بألا تعبد إلا الله جل وعلا.

وتحقيق الثانية: بألا يعبد الله إلا بما شرعه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال هنا: (وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ) وهذا من التأكيد بعد التأكيد.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري على قوله: (وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ) قال: تأكيدٌ بعد تأكيد لبيان مقام التوحيد. وأن الله جل وعلا في استحقاقه العبادة وحده لا شريك له في ذلك.

قال هنا: (لا شَرِيكَ لَهُ) وأنواع ادعاء الشريك كثيرة ومجملها:

١ــ أن ادُّعِيَ له الشريك له في ربوبيته، وأن ثَمَّ ظهير معه يُصَرِّفُ معه الأمر.

٢ــ وادُّعِيَ أن معه شريك في استحقاق العبادة.

٣ــ وادُّعِيَ أن معه شريك في أسمائه وصفاته على وجه الكمال.

٤ــ وادُّعِيَ أن معه شريك في الأمر والنهي في التشريع.

٥ــ وادُّعِيَ أن معه شريك في الحكمة التي قضاها في كونه كما يقول الفلاسفة ونحوُهم.

إذن أنواع الاشتراك التي ادُّعِيَ أن ثَمَّ من يشارك الله جل وعلا فيها كثيرة وهذه الخمسة هي جماعُها.

(لا شَرِيكَ لَهُ) قال بعدها: (إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا) الإقرار هو: الإذعان والتّسليم والاعتقاد بذلك.

(إِقْرَارًا بِهِ) يعني بأنه وحده لا شريك له.

(وَتَوْحِيدًا) التوحيد مصدر: وَحَّدَ يُوَحِّدُ. وقد جاء استعمالها في السنة:

فقد جاء في بعض طرق حديث ابن عباس: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أرسل معاذاً إلى اليمن قال: ((**إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله**)) رواه البخاري في صحيحه[١] وغيره.

فكلمة التوحيد (لا إلـــه إلا الله محمد رسول الله) قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إلى أن يوحدوا الله**)) فمن دعا إلى توحيد الله فمعنى ذلك أنه يدعو إلى تحقيق الشهادتين.

وكذلك ما ثبت في الصحيحين[٢] أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أَهَلَّ في الحج قال الراوي: أَهَلَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتوحيد، كان أهل الشرك يهلون بكذا وكذا وأهلّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتوحيد.

---

(١) **البخاري**: كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته إلى توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، حديث رقم (٧٣٧٢).

(٢) **مسلم**: كتاب الحج، باب حجة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (١٢١٨).

إذن كلمة التوحيد موجودة في السنة ومستعملة، ودين الإسلام هو دين التوحيد.

والتوحيد أربعة أنواع: توحيد الله ثلاثة أنواع، وهي:

١ــ توحيد الربوبية.

٢ــ وتوحيد الألوهية.

٣ــ وتوحيد الأسماء والصفات.

قسمها العلماء إلى هٰذه القسمة الثلاثية، دليلها فيها استقراء الكتاب والسنة.

ويكثر ذلك في كلام ابن جرير الطبري رحمه الله في التفسير وكلام ابن عبد البر رحمه الله في كتبه ثم شاعت في كلام العلماء وأشْهَرَها كثيراً شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

فتوحيد الله ثلاثة أقسام:

الأول: **توحيد الربوبية** وهو توحيد الله جل وعلا بأفعاله. يعني اعتقاد أنّ الله جل وعلا واحدٌ في أفعاله، واحدٌ في خلقه لا شريك له، واحدٌ في جميع معاني الربوبية؛ فهو جل وعلا المتفرد بالخلق وبالرزق وبالإحياء والإماتة وبتدبير الأمر وبتصريف هٰذا الملكوت وبأنه الذي يجير ولا يُجار عليه وأنه الذي يترل الغيث وأنه الذي يحيي ويميت ويقبض ويبسط ونحو ذلك من معاني الربوبية.

الثاني: **توحيد الألوهية** وهو توحيد الله بأفعال عباده.

فتوحيد الربوبية: توحيد الله بأفعاله هو. وهٰذا يقرّ به أهل الشرك فإنهم يوحدون الله في أفعاله، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[العنكبوت:١١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾[يونس:٣١]. ونحو ذلك، فهم مقرون بتوحيد الله في أفعاله، يعني غالب العرب، أو بأكثر أفعال الله.

وأما توحيد الألوهية فهو توحيد العبادة توحيد الله بأفعال العباد.

فإذن توحيد الألوهية راجعٌ إلى فعل العبد، وتوحيد الربوبية راجعٌ إلى فعل الله جل وعلا.

الثالث: **توحيد الأسماء والصفات** ومعناه اعتقاد أن الله جل وعلا هو متوحدٌ في اعتقاد استحقاقه لما بلغ في الحسن نهايته من الأسماء ولما بلغ غاية الكمال من النعوت والصفات، فالله جل وعلا لا يماثله أحد في أسمائه وصفاته، كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

هٰذه ثلاثة أنواع هي أنواع توحيد الله جل وعلا.

النوع الرابع: — توحيدٌ دلت عليه شهادة أن محمداً أن رسول الله — **وهو ألا يعبد الله إلا بما شرع** ويسمى عند طائفة من أهل العلم ''توحيد المتابعة'' يعني أن يكون المرء متابعاً للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحده فلا أحد يستحق المتابعة على وجه الكمال إلا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كما قال ابن القيم في نونيته:

فلواحـــدٍ كـــن واحـــداً في واحـــدٍ أعـــني ســـبيل الحـــق والإيمـــان

وهٰذا التعبير – توحيد المتابعة – استعمله ابن القيم، واستعمله شارح الطحاوية، واستعمله جماعة من أهل العلم.

بعض أهل العلم يقسم التوحيد إلى قسمين، يقول: التوحيد قسمان:

١ــ توحيدٌ قولي اعتقادي.

٢ــ وتوحيد فعلي إرادي.

وقولهم:

القسم الأول: **توحيد قولي اعتقادي**: هٰذا يشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات؛ لأن توحيد الربوبية قولي واعتقادي، وتوحيد الأسماء والصفات قولي واعتقادي.

وقولهم:

القسم الثاني: **توحيد فعلي إرادي**: هٰذا يعنون به ما يتعلق بفعل المكلَّف، وهو على قسمين –يعني فعل المكلف–:

١ــ أفعال القلوب.

٢ــ وأفعال الجوارح.

وهٰذه يجب توحيد الله جل وعلا فيها أفعال القلوب وأفعال الجوارح.

أفعال القلوب مثل: الخوف والرجاء والمحبة والرغبة والرهبة ونحو ذلك.

وأفعال الجوارح مثل: الدعاء والاستغاثة والذبح والنذر ونحو ذلك.

قال بعدها هنا: (**وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا مَزِيدًا**)[1].

(**وَأَشْهَدُ**) يعني أعتقد وأخبر وأعلن.

(**أَنَّ مُحَمَّدًا**) محمد بن عبد الله القرشي، أنه عبد الله؛ ليس إلهاً وليس ملكاً، وإنما هو عبدٌ من عبيد الله، شرّفه الله جلّ وعلا بالرِّسالة، عبد الله ورسوله، فلا يُدَّعى فيه أكثر من أنه رسول من الله جل وعلا، وكفى بها مرتبة وكفى بها منزلة.

وهٰذه الشَّهادة تقتضي –من اعتقاد أنه رسول الله –... تجب طاعته فيما أمر وأن يُصدق فيما أخبر وأن يُجتنب ما نهى عنه وزجر وألاّ يُعبد الله إلا بما شرع، والمشهور أن هٰذا معنى الشهادة بأنّ محمداً رسول الله، وهٰذا من مقتضياتها ومعناها الذي تقتضيه.

---

[1] انتهى الوجه الأول من الشريط الأول.

أما معناها الأول فهو اعتقاد وإعلام وإخبار بأن محمداً عبدٌ من عبيد الله ورسولٌ من المرسلين الذين أرسلهم الله جل وعلا.

هنا في قوله: (رَسُولُهُ) تنبيه وأنّ لفظ "الرسول" يختلف عن لفظ "النبي"، وأيضاً معنى "الرسول" يختلف عن معنى "النبي".

فـ "الرسول" من الإرسال وهو البعث. وأما "النبي" فهو من النبوة وهي رفعة المنزلة. هٰذا من حيث اللغة، في بعض القراءات السبعية المتواترة ﴿النَّبِيءُ﴾ و(النبوءة). يعني ﴿النَّبِيءُ﴾؛ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ﴾، ويكون منها (النبوءة) وهي من الإنباء وهو الإعلام بالوحي.

وأما بالمعنى أي في الاصطلاح فهناك فرق بينهما، والفرق:

أنّ النبي: هو من أوحي إليه بشرع و لم يؤمر بتبليغه أو أُمر بتبليغه إلى قومٍ موافقين.

وأما الرسول: فهو من أوحي إليه بكتاب أو بشرع وأمر بتبليغه إلى قومٍ مخالفين.

وعلى هٰذا يصحُّ الكلية التي يعبر بها العلماء هي أنّ "**كل نبي رسول وليس كل رسولٍ نبياً**".

قال هنا: (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ) هٰذا سؤال أنْ يثني الله على نبيه محمد؛ إذِ الصلاة من الله جل وعلا الثناء كما أوضحتُ لكم ذلك مفصلاً في أول شرح زاد المستقنع.

قال (وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا مَزِيدًا.) وذلك امتثالاً لقول الله جل وعلا: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦]، وبينتُ هناك أحكام الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمناسبتها لدرس الفقه.

ثم قال: (أَمَّا بَعْدُ: فَهٰذا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ).

(أَمَّا بَعْدُ) هٰذه كلمة يؤتى بها للانتقال، وقد استعملها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خطبه، واستعملها الصحابة.

وقد قيل: إنها فصل الخطاب الذي أتيه داوود في قوله جل وعلا: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[ص:٢٠]، لكن هٰذا ليس بصحيح.

قال هنا: (فَهٰذا) إشارة إلى ما سيأتي في هٰذه العقيدة، يعني -(هٰذا اعْتِقَادُ)- يعني هٰذا الذي ستراه في هٰذه الورقات (اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ).

والاعتقاد: ما يُعقد عليه القلب أو ما يَعقد القلبُ عليه من الأمور التي تعتقد، وأصلها من العلم الجازم؛ لأن الاعتقاد فيه جزمٌ عنه العلم. فإذا علمت شيئاً وجزمت به صرت معتقداً له.

وخُصَّ هٰذا الاسم "الاعتقاد" بشرح أركان الإيمان الستة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، الإيمان باليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى. وما أضيف إلى ذلك من المسائل التي تميّز بها أهل الاعتقاد

الحق – في أسماء الله وصفاته وفي أركان الإيمان الستة –، ما تميز بها أهل السنة والجماعة عن ما سواهم من المبتدعة والزائغين من أهل الفرق المختلفة. من مثل: الكلام – كما ذكرت لكم – في مسائل الإمامة والصحابة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخلاق ونحو ذلك.

قال: (فَهٰذا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ) الفرقة هي الطائفة من الناس، أوالطائفة من أي شيء؛ يقال: فرقة من الطير، كما جاء في الحديث الصحيح: ((أن الْبَقَرَةَ وآلِ عِمْرَانَ تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تظللان صاحبَهما كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أو قال: غيابتان أو غَمَامَتَانِ أو فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ)).[1] يعني طائفتان من طير صواف، وهٰذا كما قال جل وعلا: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[الشعراء:٦٣]، وقال: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾[التوبة:١٢٢]. فإذن الفرقة: الطائفة كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ، (الطود) الجبل، ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ يعني انفلق البحر، فكان هٰذا كالجبل العظيم وهٰذا كالجبل العظيم وما بينهما يابس آية لموسى عليه السلام.

(الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ) سميت فرقة لأنها طائفة؛ لأنها مقابلة بالفرق الأخرى.

و لم يَرِدْ – فيما أعلم – هٰذا النص (الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ) في الحديث؛ لكن العلماء أخذوه مما حديث معاوية وغيره في حديث الافتراء المشهور: أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: ((ألا وإن اليهود افترقت على إحدى وسبعين، وإن النصارى افترقت على ثنتين وسبعين فرقة، وإن هٰذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة)) هٰذا لفظ أبي داوود في سننه.[2] فيُفهم من هٰذا الحديث أن هٰذه الفرقة وهي الجماعة هي الفرقة الناجية وغيرها من الفرق فرقٌ هالكة.

ولهٰذا قال أهل العلم في وصف من اعتقد الاعتقاد الحق وكان مع الجماعة أنه من الفرقة الناجية. ووصفها بأنها ناجية يعني ناجية من النار. وهي ناجيةٌ في الدنيا من عقاب الله جل وعلا ومن أنواع عقوباته وسخطه،

([1]) **مسلم**: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، حديث رقم (٨٠٤).

([2]) سنن أبي داوود: كتاب السنة، باب شرح السنة:

حديث رقم (٤٥٩٦)، ولفظه: ((افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو لثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة))، قال الشيخ الألباني: حسن صحيح، وهو في الصحيحة برقم (٢٠٣).

حديث رقم (٤٥٩٧)، ولفظه: ((ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة))، قال الشيخ الألباني: حسن، والحديث في الصحيحة برقم (٢٠٤).

وجاء عند ماجه في سننه: كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، حديث رقم (٣٩٩٣)بلفظ ((إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة)). قال الشيخ الألباني: صحيح.

وناجية في الآخرة من النار، لقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((**كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة**))، فكل الفرق متوعدة بالهلاك وأما هٰذه الفرقة فهي الناجية.

فإذن (**النَّاجِيَة**) الأكثر أنه من صفات الآخرة؛ يعني ناجية في الآخرة، وأما صفتها في الدنيا: فهي أنها منصورة، كما قال شيخ الإسلام هاهنا ناعتاً هٰذه الفرقة بنعتين:

١ــ أنها ناجية.

٢ــ ومنصورة.

قال: (**أَمَّا بَعْدُ: فَهٰذا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ**) فأهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية وهم الطائفة المنصورة. والفرقة الناجية والطائفة المنصورة بمعنىً واحد، ولكن وصفها بأنها ناجية باعتبار الآخرة وفي ذلك أيضاً نجاةٌ في الدنيا. ووصفها بأنها منصورة باعتبار الدنيا.

وهٰذا لأجل ما جاء في الأحاديث الكثيرة أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**))،[1] فهي طائفة منصورة، هم ظاهرون ومنصورون؛ ينصرهم الله جل وعلا على من عداهم إما بالحجة وإما بالسنان؛ إما باللسان – نصر بيان ولسان – وإما نصر سنان –إذا كان ثَمَّ جهاد قائم – وإما نصر حجة وبيان، وهٰذا لا يخلو منه أهل السنة والجماعة.

قال الإمام أحمد وغيره – في تحديد من هي الفرقة الناجية المنصورة –: "**إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم**". وذلك أن أهل الحديث زمن الإمام أحمد كانوا هم القائمين بنصرة الدين والمنافحة عن الاعتقاد الصحيح والرد على المخالفين من أهل البدع الذين أدخلوا في الإسلام ما ليس منه الذين راموا تحريف الكلم عن مواضعه.

وقال البخاري رحمه الله: هم أهل العلم. وإليه مال الترمذي في جامعه وغيره.

فالفرقة الناجية المنصورة هم أهل الحديث كما عليه أكثر أهل العلم، وهم أهل العلم، وهم الذين اعتقدوا الاعتقاد الحق، فمن اعتقد الاعتقاد الحق فهو ناجٍ بوعد الله جل وعلا له ووعد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له في الآخرة، وهو منصورٌ في الدنيا ومنصورٌ في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ**﴾[غافر:٥١]، فهم منصورون في الدنيا ومنصورون في الآخرة.

---

(١) **مسلم**: كتاب الإمارة، باب قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم**))، حديث رقم: (١٩٢٠).

فإذن هٰذا النعت الذي عبّر به شيخ الإسلام رحمه الله ينبئ عما كان كالإجماع عند أهل السنة والجماعة وعند أهل الحديث وعند أئمة الإسلام أنّ الفرقة الناجية والطائفة المنصورة كلها تدل على طائفةٍ واحدة وعلى فرقةٍ واحدة: وهم الذين اعتقدوا الاعتقاد الحق وساروا على نهج السلف الصّالح رضوان الله عليهم.

وقد عُقِدَ لشيخ الإسلام مجلس محاكمة على هٰذه العقيدة لما ألفها، وقيل له: إنك تقول في هٰذا الاعتقاد: (فَهٰذا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ) فهل معنى ذلك أنك تقول: إن من لم يعتقد هٰذا الاعتقاد فليس بناجٍ من النار؟ فقال رحمه الله – مجيباً في المجلس الذي حوكم فيه من قِبَلِ القضاة ومشايخ زمنه وولاة الأمر في زمنه– قال: لم أقل هٰذا ولم يقتضه كلامي – أو قال: لا يقتضيه كلامي – فإنما قلت: (فَهٰذا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ)، فمن اعتقد هٰذا الاعتقاد كان موعوداً بالنجاة، ومن لم يعتقد هٰذا الاعتقاد لم يكن موعوداً بالنجاة وكان متوعّداً بالعذاب، وقد ينجو بأسباب منها: صدق المقام في الإسلام وكَثرة الحسنات الماحية كالجهاد في نصرة الإسلام وذلك عند من عنده نوع مخالفة لهٰذا الاعتقاد، كما هو عند طائفة من أهل العلم.

فإنه قد يكون كما عندهم – كما قال شيخ الإسلام – الحسنات الماحية ومن صدق المقام في نصرة الإسلام ما يكفر الله جل وعلا به عنهم المعصية والكبيرة التي عملوها وهي بسوء الاعتقاد الذي اعتقدوه ولم يعتقدوا ما كان عليه أهل السنة والجماعة.

قال هنا: (الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ) والمراد بها: قيام ساعتهم؛ يعني ساعة المؤمنين، يعني ساعة الطائفة المنصورة، وقيام ساعة المؤمنين وساعة الطائفة المنصورة يكون قبل طلوع الشمس من مغربها بزمن؛ بزمنٍ قليل عند كثير من أهل العلم، وذلك كما قال النبي عليه الصلاة والسلام فيما صح عنه في الحديث ((**أنه يبعث الله جل وعلا قبل قيام الساعة ريحاً تقبض أرواح المؤمنين فلا يبقى مؤمن إلا قبضت روحه**)).[1]

ونكتفي بهٰذا القدر من الشرح، أسأل الله جل وعلا أن ينفعني وإياكم بما سمعنا وأن يبصّرنا بما يجب وما ينبغي وأن يلزمنا الهدى والتقى والعفاف إنه ولي ذلك وأكرم مسؤول.

وفي هٰذا الشرح سوف تأتي إن شاء الله تفصيلات وتدقيقات في الصفات وفي مسائل الاعتقاد بما يكون إن شاء الله تعالى جامعا للشّروح لهٰذه العقيدة وشافيا في بيان معتقد أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين فيما خالفوا به أهل السنة والجماعة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

([1])**مسلم**: كتاب الإمارة، باب قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم**))، حديث رقم: (١٩٢٤).